نوور عيني

المحاضرة السابعة

الثقافة العربية وتحديات العولمة

مقدمة

يسعى علماء الفكر الاجتماعي – على مستوييه النظري والتطبيقي- جاهدين إلى تخليص أعمالهم من الايدلوجيا.

وذلك على أساس أن فكرتهم الأساسية تجاه النقد الاجتماعي/ المعرفي تنصّ على محوريين رئيسيين هما: مجموع القضايا والأفكار والمفهومات التي يصوغها ويبلورهما علماء الفكر الاجتماعي، وما لها من أثر على كيفية التي تظهر بها اعمالهم الفكرية من ناحية أخرى

ان مفهوم الايديولوجيا كان ذا فائدة لدى علماء الفكر الاجتماعي، الى حدّ انه أصبح مستحيلا عليهم الاستغناء عنه تقريبا. إن التصورات السائدة في نتاج فكرهم الاجتماعي حول الايديولوجيا لا تخلو أبدا من عنصر الاتهام والإدانة،

يقول أحد المفكرين الاجتماعيين « أنا صاحب فلسفة اجتماعية على أساس أن منطلقات الفكر الاجتماعي وتطبيقاته السوسيولوجية والانثروبولوجية انما يقدمان وصفا علميا لقضايا المجتمع يستند الى الموضوعية والحياد،

بينما يشير المفكر الاجتماعي الى الايديولوجي «بانه صاحب ايديولوجيا فحسب» وهو الوصف الذي قد يجعل صاحبه غارقا في المعتقدات والافكار التي تبتعد به عن مسلك الحياد والموضوعية

تشير الايديلوجيا في نظر بعض المفكرين الاجتماعيين الى انها مجموعة من المعتقدات أو الأفكار المترابطة او الاتجاهات الفكرية التي تتميز بها جماعة معينة او مجتمع محلّي بعينة وتتسم تلك الأفكار والمعتقدات بانها تتيح مجالا مشتركا من القيم والتوجهات المعرفية من أجل وحدة الوسائل وتحقيق الأهداف.

لكي تتواءم وتتطابق عمليات الفكر الاجتماعي النقدي مع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في اللحظات الآنية لإعادة بناء المجتمع العربي المعاصر. لا بدّ من الاشارة الى بعض المحكات أو الأبعاد الضرورية لإظهار ذلك التواؤم أو تلك العلاقات ومنها:

أوّلا: ضرورة الفهم المتكامل لطبيعة الظروف والمقومات والأبعاد المجتمعيّة الشاملة والتي أسهمت جميعا في صياغة بنية المجتمع العربي من جهة، وفي تشكيل وبلورة وظهور الاتجاهات الفكرية الاجتماعية النقدية من جهة ثانية

ثانيا: الفكر الاجتماعي ونقد الذات العربية، وهي المحاولات الفكرية الرامية الى تشخيص البناء الاجتماعي العربي السائد. يشير مفهوم الفكر الاجتماعي الى انه نشاط فكري يساير حركة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع

اولاً : بنية الثقافة العربية

إن الثقافة العربية – رغم تواجدها التاريخي منذ زمن بعيد- قد نشأت منذ مجيء الاسلام، وانتشرت بانتشاره فشملت رقعة واسعة من العالم وضمت اليها شعوبا وأجناسا مختلفة الثقافات والمعتقدات فانصهرت ثقافاتها في بوتقة الاسلام وثقافته.

ولكن منذ اواخر القرن التاسع عشر وحتى الآن يسعى الاستعمار جاهدا وبشتى الطرق رغم تغير مفاهيمه ومقاصده من فترة تاريخية إلى اخرى إلى تغيير بعض مفاهيم الثقافة العربية الاسلامية مثل إحلال بعض القوانين الوضعية بقصد وحدتها العالمية او الكونية، وتسلّل عادات وتقاليد وقيم غريبة عن الثقافة العربية الاسلامية بما يؤدي الى التأثير في ذاتية الثقافة العربية وتهديد وحدتها.

تشير وجهة النظر الانثربولوجية ودراسات الأجناس والشعوب الى أن أصالة المكوّن الثقافي ووحدته وذاتيته وتميزه، إنما يكمن في لبنات تشكيله الأولى

ومما لا شك فيه أن الثقافة العربية الاسلامية وأصالتها إنما تعود الى الدين الاسلامي الذي شكل عناصر ونسيج الثقافة في الأخلاق، والقيم، والتنشئة، والقوانين، والعادات كعادات الطعام والشراب والملبس والزواج والأفراح وغيرها من ألوان وفنون وأنشطة الحياة مختلفة.

إن أي تغيير أو تحريف في الثقافة العربية الاسلامية، يرمي الى تهميشها، او إثبات عجز وظائفها إنما هو بالدليل القاطع عمل مغرض. لا يقصد من روائه سوى العمل على تفكيك وحدة الثقافة لتمثلها في ثقافة «الآخر».

ثانياً : الثقافة العربية والعولمة :تصورات وقضايا

إن الثقافات الانسانية درجت منذ بداية التاريخ- وكأنها تسير بدافع الفطرة أي السعي بشتى الطرق والوسائل -نحو المحافظة على تميز الذات والهوية، مما يجعلها تكتسب خصوصيّة تسمو بها عن سائر الثقافات، تلك الخصوصية الثقافية تجعل أعضائها يزدادون انتماءً اليها.

ومهما علت درجة تلك الثقافة تبقى في آخر الأمر جزءا من الكيان الانساني ذاته والذي يحرص الانسان دوما على حمايته. إن عولمة الثقافة بالمفهوم الدارج للوهلة الأولى قد يبدو لدى البعض «هيمنة» ثقافة معينة على ثقافة أخرى. ولكن يجب التمييز بين العولمة وأدواتها والهيمنة وأدواتها.

العولمة تستند أساسا الى أساليب تثقيفيّة «ناعمة»

أما الهيمنة باتت تستخدم ادوات «القوة» والضغط المستمدة من حاجة المجتمعات والثقافات الى الخبرات التكنولوجية والميزات الاقتصادية.

إن سيادة ثقافة معينة على ثقافة أو ثقافات أخرى بصورة مطلقة وهو أمر متعذر المنال على أرضية الواقع الثقافي مهما كانت درجة الثقافات المتلقية تواجه الثقافة العربية الآن الغزو الإعلامي/والثقافي عن طريق السماوات المفتوحة، وشبكات المعلومات العابرة للحدود والأزمنة، وتوجهات العرب نحو المساهمة في الشراكة الاقتصادية العالية المتعددة الجنسية الواحدة.

إن الثقافة العربية يجب أن تدرك تمام الإدراك أبعاد تلك العلاقات، وتتعامل معها بحسابات مدروسة مع الأمل في أن تدخل «ثقافة العولمة» من خلال ممارسة دور فاعل ودور الشريك لا دور المتلقي والمستهلك فقط إن قضية العولمة وعلاقتها بالثقافة سواء من حيث القدرة على الدمج الثقافي، او التهميش الثقافي، أو بقاء التميز والتنوع الثقافي، مازالت تلك القضية قائمة وعسى ان تكشف السنوات المقبلة عما بها من مفارقات

اما من وجهة النظر الثقافية في تفسير مفهوم العولمة فهي نتيجة للثورات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة وثورة «المعلومات» المتجددة، والتي تواصلت معها أطراف الكوكب المعاش بواسطة الأقمار الصناعية، والأطباق الهوائية الفضائية الناقلة للمواد الإعلامية، فضلا عن انتشار شبكات المعلومات وتواصلها.

<u>وإزاء هذه التحديات فمن الضروري القيام ببعض الواجبات الأساسية ومنها :</u>

1- تدعيم الهوية الثقافية والوطنية دون إغلاق الأبواب أمام الثقافات الاخرى
2- السعي لاستخدام اللغة العربية السليمة والبسيطة في وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري .
3- إيجاد توازن بين رسائل المؤسسات التي تعنى بالجوانب الثقافية والتعليمية ورسائلها التي تعنى بالترفيه والتسلية .
4- دعم القيم الدينية والروحية انطلاقا من دور الدين في تاريخ العرب وتراثهم وحياتهم المعاصرة .
5- تحليل ونقد الرسائل الإعلامية التي تبثها وسائل الإعلام وما تحمله من قيم قد لا تتفق والقيم الدينية والروحية العربية والاسلامية أو تتعارض مع سياسات التنمية .
6- الحفاظ على التراث الثقافي وإثرائه بالربط بين الموروث الثقافي والابداعات المعاصرة .

ثالثاً : الاسلام المناضل والتحديات الحضارية

إن حيوية الاسلام التي تميز بها ولا يزال رغم ما يبدو عليه من مظاهر للتأخر او التناحر او التنافس، واحيانا ينعت بالتخلف، هي تلك الحيوية التي تجعل العالم الاسلامي باستمرار يقبل مبادرات التحدي والهجوم.

إن الغرب بحضارته وايديولوجياته غرس في ابنائه من عامة ومثقفين وعسكريين روح التحدي والهجوم والتهديد، فعاشت العلاقة بعدها لقرون عديدة حالة من التآمر والتهديد والحروب والغزوات الصليبية الى احتلال فلسطين.

فيما يلي بعض مواقف التحدي:

أولا: الاوروبيون والاسلام وشمال افريقيا

خرجت الحضارة الفرنسية من موطنها خلال ق 19 متجهة الى شمال افريقيا مدعومة بالقوة العسكرية المسلحة ومتخفية في ثوب التبشيرية.

1- عينت حكومة الاستعمار الفرنسي الاسقف لافيجيري في عام 1867 اسقفا للجزائر لكي يقوم بواجبه التبشيري في الجزائر ، ولكن رغم كل ما خصصوه له لم يتحول الا عدد قليل من المسلمين عن عقيدتهم.

ثانيا: الاسلام وجنوب السودان:

لا تقل التحديات الحضارية التي تطرقت الى مجال الدين والعقيدة في جنوب السودان، والتي مارستها سلطات الاستعمار الانجليزي عن سابقتها التي مارستها التحديات الحضارية الفرنسية من تحت رداء الارساليات التبشيرية في شمال افريقيا. إن الجهود المشتركة افلحت في جعل السودان الجنوبي الى حد ما مسيحيا معاديا للاسلام ساعد ذلك على تحويل السودان الجنوبي على يد الاستعمار الانجليزي منذ عام 1922 الى منطقة مغلقة.

منع الاستعمار الانجليزي استخدام اللغة العربية في المدارس والتعليم بجنوب السودان وتم منع الاستعمار المسلمين من اداء شعائهم الدينية علانية ورغم أن تلك القيود قد ظلت مطبقة منذ اوائل القرن العشرين، الا انها لم تنته الا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ورغم انتهاء العمل بها رسميا الا انها خلقت حالة غير مستقرة غرسها الاستعمار الانجليزي.

اما جهود تحويل المسلمين عن عقيدتهم فهي لم تفلح وفشلت في استغلال الدين واقحامه في بؤرة الصراع الحضاري. لم تكن سياسة التحدي الحضاري التي يتخذها الغرب وسيلة في محاربة الاسلام والثقافة العربية لم تكن وليدة عصر بعينه منذ ان نهض الاسلام في الاندلس نهضته القوية تشكلت لدى الاوروبيين بوادر الشك والريبة والسعي الى محاربة ذلك المارد القادم من الشرق

لم يكن موقف الاسلام في أقصى الأطراف الشرقية من العالم كجزر الهند الشرقية واندونيسيا أحسن حالا من غربها فقد عمد الاستعمار الهولندي الى محاربة ما أسماه « فيروس الاسلام المناضل» الذي ينتقل إلى الاندونسيين خلال موسم الحج عن طريق اتصالهم بغيرهم من المسلمين.

وفي عام 1825 وبعد أن فشلت حكومة الاستعمار الهولندي في تخفيض عدد الحجاج الاندونسيين اتجهت الى فرض رسوم مبالغ فيها على كل حاج . ورغم كل ذلك تزايدت أعداد الحجاج الاندونسيين مما دفع الهولنديين الى الى وضع قيود أشد عنفا وقسوة سنة 1859 إن النظرة الضيقة التي ينظر به الغرب الى الاسلام وتشويه صورته وربطها بالمظاهر السلبية كالعنف والارهاب ودونية مكانة المرأة، ولصق تلك الصور المسيئة بالمسلمين دون غيرهم، جعلتهم يتناسون أن:

الاسلام هو أسلوب متكامل للحياة له تأثيره في كافة جوانب الوجود الانساني.

الاسلام يقود حركات الانسان وأنشطته ويوجهها في كل أبعادها الفردية والجماعية والمادية والمعنوية سواء كانت أخلاقية ام قانونية أم ثقافية، فالإسلام بهذه الصورة ثقافة وحضارة معا الاسلام هو نظام متكامل وطريقة حياة تبدأ بقواعد النظافة الشخصية وتوجيهات المأكل والملبس مرورا بالعبادة وأسلوب الحكم والادارة وانتهاء بقواعد الحياة الأسرية وتنظيم المواريث الاسلام بذلك دين ودولة ولكل مسلم ان يفخر بذلك لأنها مسائل لا تتوفر في غيره من الشرائع

اسئلة المحاضرة

السؤال الاول:

((تسعى الثقافة العربية الى المحافظة على تميز الذات والهوية، مما يجعلها تكتسب خصوصيّة تسمو بها عن سائر الثقافات))

اشرحى / اشرح العبارة السابقة بالتفصيل